

أهمية المقاربة النصية في تحليل النصوص المدرسية

مرحلة التعليم المتوسط

**Features of the textual approach in analyzing school texts
middle school stage**فاتح بوزرى¹¹أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر 2 الجزائر (fouzera@yahoo.com)

تاريخ الاستلام: 2022/01/11 تاريخ القبول: 2022/05/01 تاريخ النشر: 2022/12/15

ملخص:

سأركز في هذا البحث على بيان معنى المقاربة النصية وأهميتها في مجال التعليم كخيار بيداغوجي، وسأذكر أهم روافدها، كما سأحدد الركيزة الأساسية للمقاربة، وسأتحدث عن مفهوم النص، والمعايير النصية، وذلك كله قصد الوقوف على ماهية المقاربة اللسانية النصية، هذه المقاربة التي تبنتها الوزارة. **كلمات مفتاحية:** اللسانيات ؛ المقاربة النصية ؛ النص المكتوب ؛ النص المنطوق ؛ النص التواصلية

Abstract:

In this article I will discuss the illustration of the concept of the textual approach and its importance in the field of education as a pedagogical option, as well as I will mention its most important tributaries, after that I will talk about the concept of text, and at the end I will mention the most important characteristics of the text, In order to know the truth about this approach taken by the ministry.

Keywords:

Linguistics , textual approach , written text , spoken text , communicative text.

فاتح بوزرى الإيميل: Fouzera@yahoo.com

1. مقدمة:

دخلت الجزائرية منذ سنوات خلت مرحلة الإصلاح الشامل للنظام التربوي، فجدّدت الكتب والمحتويات التعليمية وفق الأهداف المسطرة، وتبنت المناهج الدراسية على منظور بيداغوجي جديد يعتمد أساسا (المقاربة بالكفاءات)، التي تسعى إلى تمكين المتعلم من تحصيل المعارف بنجاعة وعدم تجزئتها، وخلق الفرص والوضعية المناسبة لتوظيف المكتسبات.

وقد حظي النص بأهمية كبيرة في مجال تعليم اللغة العربية؛ حيث ركزت المناهج التعليمية الحديثة في إطار المقاربة بالكفاءات على جعل المتعلم قادرا على فهم النصوص وإنتاجها، ولذلك اعتمدت المقاربة النصية كخيار تعليمي.

فما هي أهم الآليات الإجرائية المستعملة في المقاربة النصية؟

2. مفهوم النص:

تعدّدت تعريفات النص في الدراسات اللغوية فبعضها تعتمد على مكوناتها الجمالية وتتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النصي والسياق، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة، وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصّا.

تدرس لسانيات النص "النص" على أساس أنه مجموعة ممتدة وواسعة من الجمل والفقرات والمقاطع والمتواليات، المترابطة شكلا ودلالة ووظيفة، ضمن سياق تداولي وتواصلية معين، ومن ثم يحمل مقصديات مباشرة وغير مباشرة، ويهدف إلى الإبلاغ والإمتاع والإفادة والتأثير والإقناع والاقناع والحجاج، و«يجب على عالم اللغة النصي أن يبقى بحثه ... في أبنية النصوص وصياغتها مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والتفسيمة العامة» (فولفجان هين منيه وديتري هيغجر، 1998: 21).

وتدرس لسانيات النص كلما يجعل من النص ملفوظا متسقا ومنسجما ومترباطا، من خلال التركيز على الروابط التركيبية، والدلالية، والسياقية، سواء أكانت صريحة أم ضمنية، ولا تكتفي بما هو مكتوب فقط، بل تدرس حتى النصوص الشفوية والملفوظات النصية القولية.

إن المقاربة النصية إذا تنظر إلى النص على أنه مجموعة التصورات والمفاهيم والقواعد المرتبطة بالنص باعتباره وحدة أساسية للفهم والإفهام، والتأويل والتحليل والإنتاج، خلافاً أو موازاة للتصورات المرتبطة بالجملة التي فرضت نفسها على الدراسات اللغوية عهداً طويلاً.

3. لسانيات النصية وغاياتها:

لسانيات النص مصطلح يدل على الاتجاه الجديد في البحث اللساني؛ يهتم بدراسة النص ووصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمختلف مستوياتها - المعجمية، النحوية، الدلالية، والتداولية - باعتبار النص الوحدة اللغوية الكبرى المحققة للتواصل.

ويمكن تحديد لسانيات النص حسب تعريف (د. كرسنال) على أنها الاتجاه: «الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكّنا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها؛ مّا يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النصو يشترك فيها متلقيه» (David Crystal. 1987: 116).

ويعرفها كولي شرايغال (Guli shRaible) بقوله: «نقصد بنحو النص مجموعة الأعمال اللسانية التي تملك -كقاسم مشترك- خاصية تجعلها تجسد موضوع دراستها في المتواليات الخطابية ذات الأبعاد التي تتجاوز حدود الجملة...» (عبد الجليل غزالة، 1986: 11).

باختصار شديد تعني لسانيات النص: «الدراسة اللغوية لبنية النصوص» (David Crystal: 502: 1990. Baalbaki Ramzy. 350)؛ أي أنها تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في بناء النص وتأويله.

فلسانيات النص إذا فرع معرفي جديد، وفنّ مساعد لتحليل الخطاب، تكوّن بالتدرج، يفني إلى جانب لسانيات الجملة بتناسق النصوص وانسجامها، وقد اتسع مجاله بضمّه: القواعد والنماذج والاستراتيجيات

المتاحة، وتجاوزها إلى إمكانات أخرى؛ ومكنته نظرتة الشمولية من تخطي الامتداد الأفقي إلى أبعاد دلالية وإشارية وإحالية وإيحائية تستعصي على النظر المحدود؛ بل استعانت بما يدور فيما وراء اللّغة في التّحليل والتّفسير، حين وضعت في الاعتبار مستويات القراء، وأحوالهم التّفسيية والاجتماعية، وتعدّد القراءة، وأشكال التّواصل، ودرجات الفهم والاستيعاب، وطرق التّدكر والاستعادة، وإمكانات التّأليف، وكيفيات التّرابط الذّهني ... وغير ذلك من أدوات وإجراءات وعمليات لم يتح لعلم من قبل أن يُنظّم بينها ويُفيد منها كما أتيح للسانيات النّص.

إنّ مزايا هذا التناول الجديد قد أفضى إلى إمكانية نمذجة النصوص الكثيرة التي يتعامل معها وتصنيفها وفق معايير معينة.

وهذا الذي ذكرناه يعزز قناعتنا بضرورة عدم الاقتصار كذلك على النصوص الأدبية؛ بل من الواجب توسيع الدائرة بإدخال النصوص الأخرى أو الخطابات الأخرى حتى يكون التلميذ على وعي ودراية بالخصائص التي تنفرد بها النصوص ومن ثمّ تمكينه من القدرة على إنتاج نصوص مماثلة (مُجدّ يجيأتان، 1997: 424).

4. نموذجان اثنان لبيان الخصائص المميزة للنص من اللانص:

1.1.4. النموذج الأول: لؤيشار باتري:

شكلت أعمال الباحثين في ميدان لسانيات النّص منطلقاً لإظهار الخصائص الأساسية المميزة للنّص في مقابل اللا - نص، وهي سمات تتناول جوانب عديدة؛ منها ما يرجع إلى الجانب التّحوي التّركيبي، ومنها ما يرجع إلى الجانب الدّلالي المعنوي، ومنها ما يعود إلى الجانب التّداولي الاستعمالي، ونذكر فيما يأتي أهمّ تلك الخصائص، كما صاغها "ريشار باتري" (الطاهر لوصيف، 1997: 37/36):

1.1.4. الكليّة أو التّوحد (Unicité):

إنّ اللّسانيات التّصية تركز على النّص كبنية كلية، لا على الجمل كبنية فرعية، وعلى هذا اجتذبت النّصوص اللّسانيات التّصية بناء على أن نحو يشمل: النّص، وسياقه، وظروفه، وفضاءاته، ومعانيه المتعلّقة القبليّة والبعديّة، مراعيًا ظروف المتلقّي وثقافته وأشياء كثيرة تحيط بالنّص.

وتقتضي هذه الميزة أن ينظر إلى النص ككل، أو كوحدة مستقلة عن مختلف البنى التي تشكلها، وتدخل في تركيبها (Jean-Luc Nespoulous. 114)؛ ولذلك فلا اعتبار في سياق تلك الكلية للمكونات الجزئية المكونة للنص؛ لأنّ النص لا يميز وجوداً مستقلاً لعناصره، ولا تكون القيم الجزئية ذات اعتبار كبير إلاّ بقدر اشتراكها في القيمة الكبرى المشكّلة من ذلك التكوين الأكبر [النص]، وعلى ذلك النحو فهم "فاينرتش" النص.

«إن الجملة في النص ذات دلالة جزئية، ولا يمكن أن يقرّر بالتحديد الدلالة الحقيقية لكل جملة داخل ما يسمى بكلية النص، إلاّ بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في ذلك التابع الجملي؛ إذ ينظر إلى النص مهما صغر حجمه على أنّه وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالاعتداد هنا ليس بالامتداد الطولي للنص؛ بل بالأبنية الكبرى [macro-structures] المتلاحمة داخليا التي يقدمها النص» (سعيد حسن بحيري، 1997: 139).

فلا تفهم الجملة في النص في حد ذاتها فحسب؛ ولكن تسهم الجمل الأخرى في فهمها، وهذا دليل على أن ليس التركيب وحده الذي يتحدّد به المعنى، وإنما من خلال النص الكلي الذي تتضامن أجزاؤه وتتآزر (سعيد حسن بحيري، 1997: 140/139).؛ لأنّ العبرة ليست بالجملة؛ ولكن بالأبنية (Structures) المتلاحمة داخلياً.

2.1.4. الاستمرارية في المعنى (Continuité):

أن يتوقّف في النص عدد من القرائن الشكلية، التي تمكّن من تواصل المعنى واستمراره إلى أبعد ما وراء حدود العبارات (الجمل) المكوّنة للنص (Jean-Luc Nespoulous. 114). وقد أشار "شارول" إلى عدد من القرائن التي رأى أنّها تحقق طابع الاستمرارية في النص باحتوائه في تدرجه الخطي على عناصر تكرارية (Eléments de récurrence) منها على سبيل المثال: الإضمار والتعريف والاستبدال (مفتاح بن عروس، 2007: 23/22)؛ فهي مظاهر تدلّ على الانسجام النصي الخارجة عن إطار الجملة المفردة، ولا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً ودقيقاً إلاّ من خلال وحدة النص

الكليّة، الأمر الذي يجعل تلك المظاهر المعبّرة عن الاستمرارية هي المتبرر لدراسة نحوية خاصّة تقع ضمن نطاق الدّراسة النّحويّة النّصيّة (الطاهر لوصيف، 1997: 37/36).

3.1.4. القصدية (Intentionnalité) أو النية التبليغية (التواصلية):

تقتضي هذه الخاصية بعددًا تبليغيًا يسعى من خلاله المخاطب إلى الاتّصال بغيره على وجه التّخاطب (Jean-Luc Nespoulous. 114)؛ لأنّ الموضوع مَوْجّه قوي على توقّر البناء النّصي، والتّماسك النّصي الذي يتجلّى في صورة الانسجام الذي يؤدي دورًا أساسيًا في عملية التّأويل "المنسجم".

4.1.4. المطابقة لمقتضى الحال أو المواءمة (Adéquation):

تقتضي هذه الميزة أن يطابق النّص مجموع القرائن غير اللّغوية التي تكشف نشوئه وأداءه (Jean-Luc Nespoulous. 114)، أي مجموع قرائن المقام الذي يجري فيه الإنشاء والتّلقّي (الخطاب من المنظور التّداولي)؛ لأنّ المقام هو الذي يصبغ الانسجام على النّص، فيمكّن من تأويله انطلاقًا من مجموع القرائن المقامية والسّياقية المصاحبة (الطاهر لوصيف، 1997: 37/36).

5.1.4. الخصوصيّة الموضوعية وتميزها:

أن يتعلّق النّص بموضوع متميّز، فيكون إدراكه بفعل ذلك سهلاً من قبل المتلقّي (الطاهر لوصيف، 1997: 37/36)، ويتمّ ضمان ذلك بفعل استمراريته ضمن النّص من خلال مجموع القرائن سواء اللّغوية ظاهرة ومضمرة أو الاقتضائية التي يعمد المتلقّي إلى ملء فراغاتها بناء على ما توقّر لديه من الخبرات والمعارف المقترنة بالموضوع نفسه.

6.1.4. الإعلامية والإفادة:

تعمل هذه الصفة على تضمّن النّص، لفائدة مهمّة تميزه عن اللانص وعن مجموعة الإنشاءات المحمّولة على الحشو وفضول القول (الطاهر لوصيف، 1997: 37/36) والإعلامية والإفادة تبقيان مجرد مكّمّلات ضروريّة لتحقيق كفاءة تبليغية نصيّة أو ملكة نصيّة.

2.4. النموذج الثاني. المعايير النصية دي بوكرااند و"دريسلر":

والجدير بالذكر أن "ديوكرااند" و"دريسلر" (1981) قد ذكرا سبعة معايير للنص، تفرقه عن اللا- نص، هي باختصار: المعيار النحوي الذي يتولى الربط النصي السطحي، والمعيار القصدي، والتماسك الدلالي، والمقبولة لدى المتلقي الذي يقتنع بانسجام ما يتلقاه، والإخبارية والموقفية؛ أي مناسبة النص للموقف الذي يؤدي فيه، وأخيراً التناص؛ أي تبعية النص لنصوص أخرى يتقاطع معها؛ وإليك الآن تفصيل القول في هذه المعايير:

هذه المعايير ليست جديدة بطبيعة الحال؛ لأنّ علاجها جاء مفرقا ومدججا في كثير من الكتب؛ وأمّا أن يمكن أو لا يمكن لشيء أن يعدّ نصا فذلك يتوقف على مراعاة هذه المعايير، يقول روبرت دي بوجراندي: «أمّا العمل الأهم للسانيات النص فهو بالأحرى دراسة مفهوم (النصية / **Textualité**) من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص» (روبرت دي بوجراندي، 2007: 95)، وعلى أساس هذا الأصل الكبير يقول روبرت دي بوجراندي: «وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها» (روبرت دي بوجراندي، 2007: 103).

2.2.4. (الاتساق / **Cohésion**):

يتربّب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق إلى اللاحق (**Progressive occurrence**) بحيث يتحقّق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط.

ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية (للمركبات / **Phrases**) و(التراكيب / **Clauses**) والجمل، وعلى أمور مثل: التكرار و(الألفاظ الكنائية / **Pro - formes**) والأدوات والإحالة المشتركة (**Co - référence**) والحذف و(الروابط / **Jonctions**).

2.2.4. (الانسجام / **Cohérence**):

يتطلب من الإجراءات ما تنشيط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه؛ وتشمل وسائل الانسجام على:

العناصر المنطقية؛ كالتسببية والعموم والخصوص، ومعلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، وتدعم الانسجام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص، مع المعرفة السابقة بالعالم.

3.2.34. (القصد / Intentionnalité): يتضمّن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالاتساق والانسجام، وأنّ مثل هذا وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية معينة.

وهناك مدى متغير (للتغاضي / Tolérance) في مجال القصد حيث يضل القصد قائما من الناحية العملية حتى عدم وجود المعايير الكاملة للاتساق والانسجام، ومع عدم تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة؛ وهذا التغاضي عامل من عوامل ضبط النظام يتوسط المرتكزات اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف.

4.2.4. (القبول / Acceptabilité): يتضمّن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو اتساق وانسجام.

وللقبول أيضا مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج (روبرت دي بوجراندي، 2007: 104).

5.2.3. (الموقف / Situationalité): يتضمّن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه؛ ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره.

إنّ مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى دور طرفي الاتصال على الأقل؛ ولكن قد لا يدخل هذان الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين.

6.2.4. (التناسق / Intertextualité): يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة؛ وتكامل النصوص عامل أكبر في مجال تحديد (أنواع النصوص / texte types)، حيث تشكل التوقعات بالنسبة لطوائف كاملة من الوقائع اللغوية.

7.2.3. (الإعلامية / Informativity): وهو العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على

الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة.

فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع (روبرت دي بوجراند، 2007: 105).

ومن هذه المعايير السبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص: (الاتساق والانسجام)، واثان نفسيان بصورة واضحة (رعاية الموقف والتناص)، أما المعيار الأخير (الإعلامية) فهو حسب التقدير؛ ولكن يظهر من النظرة الفاحصة أنه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يفهم دون التفكير في العوامل الأربعة جميعا: اللغة، والعقل، والمجتمع، والإجراء.

5. مفهوم المقاربة النصية:

1.5. المقاربة هي: «دراسة مشكل أو معالجته، وترتكز كل مقاربة على استراتيجية للعمل من الناحية النظرية استراتيجية - طريقة تقنية ومن الناحية التطبيقية إجراء - تطبيق صيغة وصفية» (عبد اللطيف الفارابي وآخرون، 1994: 21)؛ أي هي مجموعة التصورات والمبادئ والاستراتيجيات التي يتم من خلالها تصوّر منهاج دراسي وتخطيطه وتقييمه.

2.5. المقاربة النصية هي: «مجموعة طرائق التعامل مع النص وتحليله بيداغوجيا؛ لأجل أغراض تعليمية» (صبحي الطعان، 1994: 436)، بتعبير آخر هي: «طريقة يتم بمؤداها تناول النص - سواء كان قصة أو مقالا أو خطابا أو غير ذلك - من عدّة زوايا هي: نوع النص، ونظام الإبانة، ونية صاحب النص» (بدر الدين بن تريدي، 2010: 335).

5. المقاربة النصية خيار بيداغوجي:

تعدّ المقاربة النصية إصلاحا تربويا حديثا ترمي إلى تحسين المستوى التعليمي، وتفعيل مقاربات لسانية حديثة في تعليمية النص في اللغة العربية؛ وهي «اختيار بيداغوجي يقتضي الربط بين التلقي والإنتاج، ويجسد النظر إلى اللغة باعتبارها نظاما ينبغي إدراكه في شموليته» (مشروع الوثيقة المرافقة لمنهاج، 2005: 1)؛ أي

هي الوسيلة التّواصلية والتّبليغيّة في العمليّة التّعليمية. لذلك فهي الإجراء العملي الذي يساعد على تحقيق الأهداف البيداغوجية لعمليّة التّعلم (مشروع الوثيقة المرافقة لمنهاج، 2005: 30).

إنّ المقاربة النّصية مقارنة تعليمية تهتم بدراسة بنية النّص ونظامه؛ حيث تتوجّه العناية إلى مستوى النّص ككلّ، وليس إلى الجملة؛ إذ إنّ تعلّم اللّغة هو التّعامل معها، من حيث هي خطاب متناسق الأجزاء، منسجم العناصر. ومن ثمّ تنصب العناية على ظاهرة الاتّساق والانسجام التي تجعل النّص غير متوقّف على مجموعة متتابعة من الجمل؛ بل تتعدّى ذلك إلى محاولة رصد كلّ الشّروط المساعدة على إنتاج نصّ محكم البناء، متوافق المعنى.

6. الركيزة الأساسية للمقاربة النّصية:

تقوم المقاربة النّصية على مبدأ تعليم اللّغة في وسطها الطبيعي الذي هو "النّص" باعتباره الوحيد الذي تتفاعل فيه المستويات اللّغوية المختلفة -الصوتية والمعجمية، والصرفية، والنحوية، والدلالية- في آن واحد، وهذا يضفي على هذه الوحدة اللسانية صفة "الكلّ الموحد".

يعدّ النّص نقطة انطلاق عدّة أنشطة في مواد مختلفة - من قراءة ونحو وصرف وإملاء وتعبير وبلاغة وعروض-؛ تدور حوله لتحقيق كفاءات أربع: الفهم، الاستماع، التّعبير بشقيه؛ الشّفوي والكتابي؛ وهذا ضمان لنمو لغوي عند التلاميذ نموا معتدلا على اعتبار أنّ المقاربة النّصية تنطلق من تكامل مهارات اللّغة -الاستماع والتّحدث، والقراءة، والكتابة-؛ كلّ ذلك بهدف إكساب المتعلّم القدرة على إنتاج نص على منوال النّص الذي درسه، أو الكفاءة في توظيف بعض خصائصه، وتحقيق التّواصل مع غيره على المستويين الشّفوي والكتابي، وتلبية احتياجاته المختلفة، وذلك بعد معرفة العلاقات بين مكونات النّص.

وتهتم المقاربة النّصية أيضا بدراسة العلاقات الدلالية التي يتكوّن منها النّص، وتحاول الكشف عن استراتيجية بنائه وآليات اتساقه وانسجامه، وتبحث في السّياق الذي يندرج ضمنه (المؤشرات السّياقية؛ اللّغوية، والمقامية والتاريخية، الثقافيّة، الاجتماعية...)، وتحدّد خصائص ومميّزة نمطه، وتقف على نيّة صاحب النّص من وراء إنتاجه، وكيفية استقباله لدى متلقّيه، وتبحث في عناصره التّواصلية، واستراتيجياته التّخاطبية؛ وتدرس جوانبه العديدة ومستوياته المختلفة: الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والدلالية.

وبناء على ذلك يُبنى المنهاج الجديد في تدريس أنشطة اللغة العربية وفقاً لمقاربة النصية؛ لما لها من أهمية بالغة في العملية التعليمية التعلمية، وما وفرته من تلافٍ للنقائص والسلبيات التي تمّ طرحها في المناهج السابقة، والتي حالت دون (تحصيل المردود المرغوب فيه).

وعلى العموم تستدعي المقاربة النصية في تدريس أنشطة اللغة العربية توظيف جملة من مفاهيم لسانيات النص وآليات فهمه وإنتاجه.

7. الأهداف السلوكية واللغوية المتوخاة:

إن استغلال لسانيات النص في الميدان التعليمي من شأنه أن ينمي ملكة القراءة النشيطة وملكة الكتابة الإنتاجية؛ لأنّ هذا التناول سيسمح له بتجاوز مستوى الجملة والنظر إلى النص من حيث شموليته، وذلك عن طريق اكتشاف تناميه من البداية إلى النهاية؛ أي بتحليل كيفية سريان المعلومة فيه، أما على صعيد المكتوب فإن التلميذ عند إنتاجه لنصوصه سيولي الاهتمام لاتساق نصه من خلال جعل الوحدات التي تكونه مترابطة، كما سيحسن نوع الاتدرج بقصد تزويد نصه بديناميكية معينة.

وفي هذا المستوى من التحليل ينصرف الاهتمام إلى البحث عن الاتساق الموجود بين جميع الوحدات التي تكون النص المدروس، ويتم ذلك بالنظر إلى ظاهرة العائد من ضمائر والأسماء الموصولة والإشارات وغيرها. كما ينظر إلى البدائل الإفرادية أي المفردات الجديد التي يسخرها الكاتب لتتوب عن المفردات السابقة. كما يعنى بالتدرج الموضوعاتي الذي ينطوي عليه النص المدروس من وحدة لغوية إلى أخرى، أي بناء وهندسة المعنى خلال التراكيب المسخرة والأساليب والمعجم المختار (مُجَّد يجياتن، 1997: 425).

8. روافد المقاربة النصية:

يعدّ النصّ الرّافد الأساسي في المقاربة النصية، الذي تقوم عليه الوحدة التعليمية التعلمية، حيث يستهل به، ويستند إليه في كلّ تدريس نشاطات اللغة العربية جميعها؛ ومثل هذه الدّراسة التي تتخذ النصّ سندا ومتكأ ترمي إلى تنوير الفكر، وتهذيب الوجدان، وتصفية الشّعور، وصقل الذّوق، وإرهاق الإحساس.

وهذا يعني أنّها تسعى إلى تكوين المتعلم حسيا وعقليا ووجدانيا بتفعيل مكتسباته القبلية، وبناء معارف جديدة، وتمر هذه الدراسة - كما جاء في المنهاج التربوي - عبر جملة من المراحل المتبعة لتحقيق الفعل التعليمي التعلّمي.

إنّ الكتاب المدرسي يحتوي «على دراسة الكثير من الخطابات المختلفة التي يفتتح كجزء منه بنص؛ فهو يظهر في بداية الدرس وأثناء التمارين التطبيقية، ودروس القواعد، وينظم فضاء المنهاج بحضور دائم» (ميريّام هيّمي، 2006: 153).

إنّ «النّص في بدايته هو عبارة عن معالجة بيداغوجية تسمح بتسهيل ما هو صعب في تقديم قواعد اللغة، ومصطلحاتها وشكل ومفرداتها. والتحليل النحوي يساهم في معالجة النص وفي اكتشاف عناصره مثلما هو موجود في أي كتاب نحوي تقليدي. كما أنّ النص هو عرض لكل أنواع الخطابات وهو موجه للقراء ويعتبر حاملا لكل المعلومات التي تفيدهم. كما أنّ نشاط القراءة (المطالعة) يسمح للتلميذ أن يأخذ بعين الاعتبار من أنّ كل أجزاء النص مهمة شكلا ومضمونا وبأنّها غير معزولة عن بعضها؛ ولكنها محاطة بإطار نصي يحمل معنى... عند تحليل اللغة يتصور التلميذ معنى النص ومجاله، فالقواعد تفصل العناصر لكي يتم تحليلها أما النص فيجمعها في إطار» (ميريّام هيّمي، 2006: 153).

1.8. النّص المكتوب والنّص المنطوق:

يبدأ المتعلم بقراءة النّص أولا؛ لأنّ النّص منبع للمتعلم القارئ، حيث يمكنه من اكتساب كفاءات لغويّة، كما يكسبه رغبة وشهية كبيرة للقراءة، وينمي عقله ويمتعه، ويسمح أيضا للمتعلم بالمعرفة والعمل وإبداع طرق أخرى للقراءة (مثلا النص القصصي أو النص الوصفي أو الشعر)، والرغبة في القراءة والشرح من أجل فهم أكثر وتحليل يمكنه من الإبداع (ميريّام هيّمي، 2006: 153).

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة التعرف على صاحب النص: فبعد أن يتعرّف المتعلّم على جوانب من تاريخ عصر صاحب النّص، وجوانب من حياته الاجتماعية والعلمية التي لها علاقة بالنّص في سطور موجزة؛ كي يمتلك مفتاحا أوليا لفهم النّص وتقديمه في سطور موجزة.

وبعد ذلك ينتقل المتعلم إلى فهم معاني النص وهي المرحلة الثالثة؛ لأن «دراسة النص هي دراسة لغته ودراسة كلماته ومصدرها وأصلها، واكتشاف العلاقات المتداخلة بين مختلف عناصره... واستغلال النص يمكن التلميذ ويساعده على معرفة الكثير من الكلمات ومعانيها... وهذا النوع في النصوص يمكننا من دراسة الكفاءات وتنظيم عناصرها ومعرفة مختلف المصطلحات المستعملة» (ميريام هيمي، 2006: 153).

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي مرحلة تحليل البناء اللغوي للنص، قصد التوغل في فحواه، انطلاقاً من الوقوف عند الدلالة اللغوية للمفردات التي توجد في رصيده اللغوي السابق إلى ما توحى به من خلال السياق الذي وظفت فيه، ومن ثم يلج إلى سبر العناصر الأساسية للنص المتمثلة في المعاني والأفكار والانفعالات والتعبير الحقيقية والمجازية بغية الانتقال لمناقشتها.

وفي هذه المرحلة تتجلى تدريجياً ملامح الكفاءة المرحلة حيث يقوم المعلم بصياغة أسئلة تدفع المتعلمين إلى وضعية تجنيد معارفهم السابقة لبناء معارف جديدة، ولهذا ينبغي للمعلم أن يقوم بمساعدة المتعلم لاكتشاف بناء النص الفني، وهو ما يحدّد نمطه، ثم يتفحص الأدوات التي حققت الاتساق والانسجام مع معاني النص وأفكاره.

وفي المرحلة الختامية من تدريس النص يتوجب على المتعلم أن يستخلص أبرز الخصائص الأدبية والفنية، وأهمّ القيم الدينية والأخلاقية والفكرية والاجتماعية والوطنية... وغيرها من القيم التي يحددها موضوع النص ولغته.

2.8. قواعد اللغة والبلاغة:

في إطار المقاربة النصية وعملاً بمبدئها الأساسي وهو أن يكون النص محور نشاطات الوحدة التعليمية جميعاً، فإنّ أمثلة موضوع قواعد اللغة تأخذ من النص الذي سبقته دراسته بهدف إلى جعل المتعلم يدرك أنّ القواعد هي وسيلة وليست غاية بذاتها في خدمة التعبير دائماً.

وهنا يدرك التلميذ ضرورة تعايش النص والقواعد هذا من جهة؛ ويعني ذلك أن تقديم النص هو تقديم ودراسة دقيقة لوضعية التواصل؛ لأنّ تقديم العديد من النقاط النحوية مثل الماضي والحاضر والمستقبل

تمكّن من دراسة الأزمنة المختلفة، كما أن دراسة الاسم والفعل والضمائر وأدوات الربط تبين لنا وظائف النحو واللغة.

هذا التنظيم النحوي واللغوي في المدارس يفتح وضعيات مختلفة للتواصل وقواعد بها الكثير من المعاني والتعابير، فتدريس هذه القواعد انطلاقاً من النصوص تدفع التلميذ إلى التعرف من خلالها على النصوص. فالقواعد هي دراسة لشكل الكلمة والنصوص وهي رؤية واضحة للجملّة وعلامات اللغة ومعانيها وهي علم وفن قديم (ميريّام هيمي، 2006: 153).

ومن جهة أخرى سينتبه التلميذ إلى أنّ القواعد هي العمود الفقري للمعرفة وأساس بناء كلّ النصوص؛ «رغم أنّها مفقودة في التواصل الشفوي؛ لكنها موجودة في كل قصة مكتوبة، وفي كل حوار مكتوب وفي التمارين التطبيقية، فالقواعد هي عناصر جامعة لعناصر النص ومنظمة لها لفهم جيد له، فقد اخترقت جميع النشاطات في الكتب».

كما أنّ الانطلاق من النصّ في دراسة البلاغة هو المظهر الطبيعي لوظيفة البلاغة؛ إذ يرى الظاهرة الجمالية حيّة فيتفاعل معها وينفعل لها، وهذا ما يبعده عن الدرس البلاغي الجاف المنفصل عن السياق الكلّي للنصّ لاعتماده على الشواهد المجزأة والمتباعدة.

3.8. مطالعة موجهة:

وهي نشاط فكري يرمي إلى تنمية الثروة اللغوية وتوسيع معارف المتعلمين، حيث يطالعون نصوصاً متنوّعة، ويقوم المتعلمين بتحضير نصّ المطالعة المرسومة، ويتمّ التدرج من مرحلة اكتشاف المعطيات إلى مناقشتها؛ ليكون قادراً على استثمار ما اكتسبه من معطيات النصّ، كأن يعلّل اختياره وتفضيله لأسلوب معيّن في الكتابة دون الآخر.

4.8. التعبير الكتابي:

وهو النشاط الذي تظهر فيه جلياً الخاصّة الأساسيّة للتدريس بالكفاءات، وهي "إنتاج المكتسبات القبليّة"، حيث يقوم المتعلم بإدماج ما اكتسبه من كفاءات في النشاطات السّابقة في النصّ الأدبي والقواعد والبلاغة.

5.8. النص التواصلي:

وهو نص نثري يتم التركيز فيه على الجوانب المعرفية الواردة في النص الأدبي؛ لإثراء فكر المتعلمين ولما كانت النصوص الأدبية تمثل الأصل في نشاط الأدب والنصوص التواصلية الفرع، فإن الأمر يتطلب تفصيل القول في النصوص الأدبية بما يجعل المدرس يتعامل معها بشكل مرض يعكس إيجاباً على استيعاب التلاميذ، لما اكتسبوه من معارف في النص الأدبي اكتساباً مقنعاً، ولهذا يتم دراسة النص التواصلي بالاكْتفاء باكتشاف معطيات النص ومناقشتها، وتسجيل ما استخلصه المتعلمون من أفكار مهمة عن الظاهرة المطروقة في النص.

6.8. التعبير الشفوي:

تعتبر هذه الحصّة إدماجية؛ لكونها تسمح للمتعلّمين بالتعبير الشفوي عن أفكارهم، بتوظيف ما اكتسبوه من رصيد لغوي ونحوي وبلاغي ومعرفي، وهو ما يكسبهم فنيات تحليل القضايا المطروحة وإبداء الرأي بتأييده أو تفيده مع التحليل والتعليل.

7.8. المشروع:

هو وسيلة من وسائل التعلم الجماعية المساندة لمستواهم العقلي والمعرفي حيث يقوم المتعلمون بإنجاز منتج كتابي بعد عملية الاختيار والتخطيط، وتحديد عناصر المشروع ووسائل تحقيقه، كأن يختار أعضاء الفوج إنجاز مجلة القسم، ويكون الأستاذ موجهاً ومرشداً ومقوماً.

9. الخاتمة:

بعد هذه الدراسة المختصرة توصل البحث إلى مجموعة من النتائج الآتية:
إنّ النص يعبر عن البعد الاستعمالي الحقيقي للغة، وهو ملتقى عدد معتبر من العلوم التي راحت تتناوله بالدراسة والتحليل والنظر عبر مسار تاريخي وثقافي وسياسي واجتماعي حافل.
أصبح النص يشكل بعداً دراسياً جديداً خلفاً للجملّة.
التدريس وفق المقاربة النصية يركز على وظيفة اللغة التواصلية والإبداعية؛ وقد أصبح التدريس وفقها يحقق الملكة اللغوية والمعرفية والإدراكية والإبداعية وتنميتها لدى المتعلم.

تحقيق المقاربة النصية الربط التكاملية على اعتبار أن اللغة وحدة واحدة وكيانا منسجما ترتبط فيه العلوم والمكتسبات ارتباطا وثيقا.

المقاربة النصية جعلت تعليمية النص الأدبي أكثر حيوية وفعالية في تزويد المتعلم بالرصيد اللغوي المفيد، والذي يمكنه من إنتاجه في كل الأحوال والظروف من خلال وضعيات الحياة.

لم تلق المعايير النصية حفا وافرا في تحليل النصوص الأدبية، ومن إيجابيات المقاربة النصية ما يأتي:

إسهام المتعلم في بناء معارفه بنفسه انطلاقا من عمليتي الملاحظة والاكتشاف.

التدريب على دراسة النص دراسة وافية؛ تنضوي تحتها عدّة مجالات (معجمية، دلالية، بلاغية

ذوقية..).

يتفتح المتعلم على مبادئ النقد، وإبداء الرأي ويتربى على استخدام العقل في تقدير الأمور (مناقشة

معطيات النص، تحديد بناء النص، تفحص، الاتساق، الانسجام).

تقويديها للميل للتعبير والتواصل الشفهيو الكتابي، فيتمكنا لإعرا بعنا جات هوأفكارهويتفاعل مع الآخرين

بصورة إيجابية.

الإفادة من رصيد المتعلم وخبرته السابقة والعمل على تطويرها والبناء عليها انطلاقا من كون عملية

النم و متكاملة.

اعتبار اللغة وحدة متكاملة ومترابطة في فروعها.

10. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. بدر الدين بن تريدي، 2010م، قاموس التربية الحديث، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية،

دار راجعي للنشر والطباعة. الجزائر.

2. روبرت دي بوجراند، تر تمام حسان، 2007م، النص والخطاب والإجراء، ط2، عالم

الكتب. القاهرة.

3. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص؛ المفاهيم والاتجاهات، ط 1، 1997م، الشركة المصرية العالمية للنشر. لو نجمان، دار ثوبار. القاهرة.
4. عبد اللطيف الفارابي وآخرون، 1994م، معجم علوم التربية، (د ط)، مطبعة النجاح الجديدة.
5. فولفجانهاين منيه وديترفيهيغجر، تر فالخ بن شبيب العجمي، 1998م، مدخل إلى علم اللغة النصي، جامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربية السعودية.
6. وزارة التربية الوطنية، 2005م، مشروع الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجيا، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر.

الأطروحات:

7. الطاهر لوصيف، 2007م/2008م، تعليمية النصوص والأدب في مرحلة التعليم الثانوي الجزائري برنامج السنة الأولى - جذع مشترك آداب - أنموذجا دراسة وصفية تحليلية نقدية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر.
8. مفتاح بن عروس، 2007م، الاتساق والانسجام في القرآن، رسالة دكتوراه الدولة قسم اللغة العربية وآدابها (جامعة الجزائر)، الجزائر.

المقالات:

9. صبحي الطعان، 1994م، بنية النص الكبرى، ديسمبر، مجلة عالم الفكر. عدد 2. مصر.
10. عبد الجليل غزالة، 1986م، نحو النص بين النظرية والتطبيق، العدد 26، أنوال الثقافي. المغرب.
11. مُجّد يحياتن، 1997م، تحليل النص الأدبي في التعليم الثانوي ملاحظات أولية، العدد 12، أكتوبر، جامعة الجزائر، مجلة اللغة والآداب.
12. ميريّام هيمي، تر الطاهر لوصيف، 2006م، المنهاج القواعد النصوص، الجزائر، اللسانيات، مجلة محكمة في علوم اللسان وتكنولوجياه، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، ع 22.

13. David Crystal. The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge University, press 1987.
14. David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phontics, Basil Blackwell, Oxford.
15. Jean-Luc Nespoulous. L'analyse de niveau discursif en linguistique: Cohérence et Cohésion.in: Tendances actuelles en linguistique générale.
16. -Baalbaki,Ramzy: Dictionary of Linguistics Terms, Beirut, 1990.